تحالفات الراغبين:
عودة ظاهرة الائتلافات العسكرية المؤقتة إلى الشرق الأوسط

لواء دكتور/ محمد جمال مظلوم

رئيس قسم الأمن الإنساني - كلية العلوم الاستراتيجية - جامعة نايف للعلوم الأمنية

عادت ظاهرة تحالفات الراغبين للظهور مرة أخرى بقوة في منطقة الشرق الأوسط، لأسباب مختلفة تتعلق بتهديدات إقليمية خطرة عابرة للحدود، تمس مصالح رئيسية لدول المنطقة ومصالح الدول ذات التأثير فيها، وهو أمر واضح في سعي الولايات المتحدة لإقامة تحالف دولي لمحاربة "داعش".

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة قريبة إلى تشكيل ما يمكن تسميته بـ"تحالف الراغبين"، وهو تحالف دولي كبير لمواجهة وتدمير تنظيم "داعش"، الذي أعلن عن إقامة الخلافة الإسلامية في يونيو 2014، بعد أن استطاع السيطرة على مناطق واسعة من العراق وسوريا، في ضوء استمرار مساعي التنظيم للتوسع إلى حدود بغداد، فضلاً عن محاولاته خلال شهر أغسطس 2014 الوصول إلى شمال الأردن وعرسال على الحدود السورية اللبنانية، بالإضافة إلى تطلعه للامتداد إلى دول عربية أخرى، إن لم يكن إلى دول آسيوية، وبصفة خاصة في وسط وشرق آسيا.

أولاً: أشكال التحالفات العسكرية

تتطلب هذه التطورات دراسة التحالفات العسكرية بصفة عامة، وكذلك أبرز الائتلافات الدولية العسكرية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى استكشاف السمات الأساسية لتحالف الراغبين المزمع إنشاؤه لمواجهة "داعش"، وأخيراً تحليل العوامل والمعوقات والتداعيات للحملة على "داعش".

تعتبر التحالفات العسكرية بمنزلة اتفاق صريح بين عدد من الدول في مجال الأمن القومي، يتعهد الأطراف بمقتضاه بالتعاون المتبادل من خلال تخصيص الموارد الكافية لمواجهة أي أمر طارئ يهدد أمنهم القومي، وتتمثل أبرز أشكال الائتلافات العسكرية في الحلف العسكري، وكذلك الشراكة الاستراتيجية (Strategic partnership)، التي لا تتضمن ضمانات أمنية، ولكنها تتضمن اعترافاً بالمصالح الأمنية المشتركة، فضلاً عن نصوص لتعاون عسكري تختلف درجتها من حالة لأخرى، ومن أبرز أمثلتها الشراكة الاستراتيجية بين تركيا وإسرائيل، أو باكستان والسعودية، أو بين الصين وباكستان، بالإضافة إلى التحالفات المؤقتة أو تحالفات الراغبين (ad hoc coalitions or coalition of the willing). وعلى الرغم من أن البعض يعتقد أنها ظاهرة حديثة نسبياً، فإنها قديمة قدم الحروب نفسها، وهي غالباً ما تكون محدودة بفترة زمنية معينة، وتهدف لمواجهة خطر أو تهديد محدد، ومن الملحوظ أن هذا النوع من التحالفات أصبح القاعدة بدلاً من الاستثناء.

ويمكن تفصيل ما يتعلق بالحلف العسكري كونه من أكثر أشكال التحالفات شيوعاً ومؤسسية،

فالحلف العسكري هو معاهدة بين دولتين أو أكثر من أجل صد عدوان، ومن الملحوظ أن الأحلاف العسكرية من الصعب الاحتفاظ بفاعليتها لفترة طويلة، خاصة عندما يختلف الأعضاء حيال التهديدات، ومن ثم يختارون عدم المشاركة، كما أن انخفاض حجم التهديدات الخارجية لدول التحالف يضعف تماسكها، وهناك عدة تقسيمات للتحالفات العسكرية، وذلك على النحو التالي:

1- التحالف العسكري الرسمي وغير الرسمي:

إذ يكون التحالف العسكري رسمياً في صورة اتفاق مكتوب، أو اتفاق غير رسمي، أي من دون معاهدة موقعة بين الطرفين، كالتحالف غير الرسمي بين الولايات المتحدة وتايوان أو بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

2- الأحلاف الثنائية والمتعددة الأطراف: الأحلاف الثنائية هي التي تعقد بين دولتين، كالتحالفات العسكرية بين الولايات المتحدة وحلفائها الآسيويين فرادى، أو بين فرنسا وبعض الدول الأفريقية، أو متعددة الأطراف؛ أي بين أكثر من دولتين كحلف شمال الأطلسي، أو بين روسيا وبعض دول الاتحاد السوفييتي السابق.

3- الأحلاف المتكافئة وغير المتكافئة:

وتكون الأحلاف متكافئة إذا أبرمت بين دولتين أو دول متقاربة في القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية، أما الأحلاف غير المتكافئة، فهي تلك التي تتم بين دول تتفاوت من حيث قوتها على المحاور السابقة، وهو ما يفتح الباب أمام هيمنة الدول الكبرى على الصغيرة، واستخدام التحالف العسكري كأداة لتحقيق أهدافها.

وتتمثل أبرز نماذج التحالفات العسكرية فيما يلي:

1- منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) (North Atlantic Treaty Organization): وقد تأسست عام 1949 بناء على معاهدة شمال الأطلسي، التي تم التوقيع عليها في واشنطن في 4 أبريل 1949، ويوجد مقر قيادة الحلف في بروكسل عاصمة بلجيكا. ويتركز الهدف الرئيسي لهذا الحلف في حماية دول العالم بشكل عام وحماية الدول الأعضاء فيه بشكل خاص، وحفظ الأمن والاستقرار، ومحاربة التهديدات الأمنية الجديدة. ومؤخراً أقرت تغييرات في مهمة الحلف من الدفاع عن دول الحلف إلى حماية المصالح الحيوية لدول الحلف، وقد بدأ الحلف بـ 12 دولة في عام 1949 ثم وصل إلى 28 دولة حالياً.

2- حلف وارسو: وهو منظمه عسكرية ضمت الدول الشيوعية في أوروبا الوسطى والشرقية أثناء الحرب الباردة، وقد تأسس عام 1955 ليواجه التهديدات النابعة من أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو).

وقد استمر الحلف في عمله خلال فترة الحرب الباردة حتى سقوط الأنظمة الشيوعية الأوروبية وتفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991، ووقتها بدأت الدول تنسحب منه واحدة تلو الأخرى حتى حل الحلف رسمياً في يوليو 1991.

ثانياً: أبرز الائتلافات العسكرية في الشرق الأوسط

شهدت المنطقة العربية ائتلافات دولية عسكرية مختلفة خلال العقود الثلاثة الماضية، بدءاً من العام 1991 عقب غزو العراق الكويت في 2 أغسطس عام 1990 وحتى 2014، ويتمثل أهمها في:

1- حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت)

وتسمى كذلك عملية عاصفة الصحراء (17 يناير إلى 28 فبراير 1991)، وهي حرب شنتها قوات التحالف المكونة من 34 دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق بعد صدور القرار رقم 678 من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، والصادر في 29 نوفمبر عام 1990، والذي حدد فيه تاريخ 15 يناير 1991 موعداً نهائياً للعراق لسحب قواته من الكويت، وإلا فإن قوات التحالف سوف تستعمل كل الوسائل الضرورية لتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 660.

> الحلف العسكري هو معاهدة بين دولتين أو أكثر من أجل صد عدوان، ومن الصعب الاحتفاظ بفاعلية الحلف العسكري لفترة طويلة، خاصة عندما يختلف الأعضاء حيال التهديدات وقوتها وشدتها وأهمية التدخل والمشاركة من عدمها

2- حرب الخليج الثالثة

وقد نشبت بسبب إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل، من دون أن تستطيع إقناع مجلس الأمن بذلك، ولذلك فقد عمدت إلى الحصول على التأييد لحملتها لغزو العراق من 49 دولة، وإن كانت 98% من القوات العسكرية تقريباً هي قوات أمريكية وبريطانية، ووصل العدد الإجمالي لقوات الائتلاف أكثر من 300 ألف مقاتل، وعليه شنت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها عدوانها على العراق منذ 20 مارس 2003 واحتلت العراق حتى وقعت الاتفاقية الأمنية بين حكومة العراق والولايات المتحدة الأمريكية عام 2008 وانسحبت من الأراضي العراقية في ديسمبر 2011.

3- حملة الحامي الموحد (Operation Unified Protector) ضد نظام القذافي

طالبت جامعة الدول العربية المجتمع الدولي بحماية الشعب الليبي من العدوان من قوات القذافي، وذلك على أثر الثورة التي اجتاحت ليبيا في 17 فبراير 2011 ضمن الثورات العربية والانتهاكات المرتكبة ضد حقوق الإنسان والمتظاهرين في ليبيا، وكان أن تدخلت الدول الغربية من خلال حلف شمال الأطلسي، بقيادة أوروبية عقب تراجع الولايات المتحدة الأمريكية عن قيادة الحرب الائتلافية، وانتهجت أمريكا سياسية جديدة هي القيادة من الخلف (Leading from behind)، وركزت الولايات المتحدة الأمريكية مشاركتها في تدمير الدفاعات الجوية وسلاح الجو للخصوم، وفي هذه الحرب أيضاً ظهر إحجام دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي والناتو عن المشاركة في هذه الحرب.

4- تحالف دول جوار ليبيا

وهو تحالف يضم دول جوار ليبيا، ممثلة في تونس وليبيا والجزائر ومصر والسودان وتشاد والنيجر، وقد عقد التحالف أربعة اجتماعات على مستوى وزراء الخارجية، وعقد الاجتماع الثالث في مدينة الحمامات بتونس يومي 13 و14 يوليو 2014، بينما عقد الرابع والأخير في القاهرة في 25 أغسطس 2014 بهدف التعاون لتحقيق السلام واستعادة الأمن في ليبيا، فضلاً عن محاولة توقيع اتفاقيات لتشكيل قوات مسلحة مشتركة مع تشاد والنيجر وتونس والجزائر ومصر، وذلك على غرار التعاون العسكري بين القوات المسلحة السودانية والليبية.

كما أن تطورات الأوضاع الليبية دفعت لزيادة التنسيق الأمني بين مصر والجزائر، يدعم ذلك أن أول محطة للرئيس المصري المنتخب عبدالفتاح السيسي كانت زيارته للجزائر، ولقاءه الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة.

وفي هذه التحالفات يمكن ملاحظة الاختلافات الآتية:

1- إن النمط السائد في هذه التحالفات العسكرية باستثناء حالة "تحالف دول جوار ليبيا"، هو نمط "تحالف الراغبين"، ولذلك فقد اختلفت الأطراف المشاركة، وشكل القيادة، وحجم مشاركة كل دولة من تحالف لآخر، أما تحالف "دول جوار ليبيا"، فهو أقرب لشراكة استراتيجية تتضمن قدراً من التعاون الأمني لمواجهة التهديدات الإرهابية والفوضى الأمنية الناشئة في ليبيا، وذلك بموافقة الحكومة المنتخبة.

2- إنه فيما عدا حرب الخليج الثانية والتي تم فيها تخويل الائتلاف الدولي باتخاذ تدابير عسكرية ضد العراق لإخراجه من الكويت، فإن التدخلات العسكرية الأخرى تمت، إما من دون غطاء من مجلس الأمن، كما في حالة حرب الخليج الثالثة ضد العراق، أو أن إجازة التدخل العسكري قد تمت وفق ضوابط معينة تم تجاوزها لاحقاً، فقد أشار قرار مجلس الأمن رقم 1973 الصادر في 17 مارس 2011، إلى فرض حظر جوي على جميع الرحلات الجوية في المجال الجوي الليبي، وذلك من أجل حماية المدنيين، كما خوّل اتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المدنيين، مع استبعاد وجود أي قوة احتلال أجنبي أياً كان شكلها وعلى أي جزء من الأراضي الليبية، ولكن في الواقع العملي، فقد تم تجاوز ذلك، إذ تحوّل الهدف من فرض حظر جوي إلى استهداف قوات القذافي لصالح المعارضة المسلحة، كما أشارت تقارير عدة إلى مشاركة قوات برية من بعض دول التحالف في عمليات عسكرية برية ضد قوات القذافي، أما "دول جوار ليبيا"، فهي تعبر عن حالة تعاون أمني بين دول، ولا تستلزم تدخلاً دولياً.

3- يختلف نمط القيادة في كل تحالف عن الآخر، ففي حرب الخليج الثانية كانت قيادة مشتركة بين الجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف من الجانب الأمريكي والأمير خالد بن سلطان عبد العزيز آل سعود من الجانب السعودي، أما في حرب العراق لعام 2003، فقد قامت الولايات المتحدة بقيادة تحالف ضم ثلاث دول أخرى في البداية، هي بريطانيا وبولندا وأستراليا، ثم ما لبثت أن انضمت إليه 36 دولة أخرى، أما في حالة عملية "الحامي الموحد"، فقد تمت بقيادة فرنسية – بريطانية – أمريكية في البداية، ثم ما لبثت أن تمت تحت مظلة حلف شمال الأطلسي.

4- إن التدخلات العسكرية التي تمت في الحالات الثلاث الأولى اتسمت بمشاركة أمريكية غربية بصورة أساسية، مع اختلاف حجم المشاركة العربية من حالة لأخرى، ففي حرب الخليج الثانية عام 1990 كانت هناك مشاركة عربية فاعلة من عدد كبير من الدول العربية، أما في حرب الخليج الثالثة في عام 2003، فلم تشارك الدول العربية بقوات، أما في حالة "الحامي الموحد"، فقد شاركت دولتان عربيتان هما الإمارات وقطر.

ثالثاً: تشكيل ائتلاف دولي ضد "داعش"

> **يتسم التحالف الدولي المزمع إقامته ضد "داعش" بتعدد أطرافه، وعدم وضوح أهدافه، وغياب التفويض الدولي، واختلاف مهام أطراف التحالف، بالإضافة إلى التداعيات المتوقعة على دول الجوار، كما من المتوقع وجود معارضة محتملة من قبل كل من روسيا والصين ومطالبتها بأن يتم ذلك من خلال قرار من مجلس الأمن الدولي**

شرعت الولايات المتحدة الأمريكية في جهودها لبناء تحالف دولي ضد داعش منذ الخامس من شهر سبتمبر 2014 عقب اجتماع قمة حلف شمال الأطلسي، وتم الإعلان عن تشكيل نواة تحالف دولي من 10 دول غربية، وأقروا استراتيجية أولية لمواجهة تنظيم داعش، كما عقد في جدة في 11 سبتمبر 2014 اجتماع وزاري عربي تركي أمريكي ضم كلاً من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست والعراق والأردن ومصر ولبنان وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية، وتعهد جون كيري وزير الخارجية الأمريكية ببناء تحالف دولي واسع يضم أكثر من 40 بلداً، ويستمر لسنوات من أجل القضاء على تنظيم "داعش".

وقد عرض باراك أوباما الرئيس الأمريكي في 10 سبتمبر 2014، قبيل الذكرى الثالثة عشرة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر استراتيجية خطة العمل ضد "داعش"، والتي تتكون من ثلاث مراحل تبدأ بالضربات الجوية ضد معاقل التنظيم في العراق، والتي بدأت منذ الثامن من شهر أغسطس 2014، ثم المرحلة الثانية التي بدأت عقب تشكيل الحكومة العراقية الجديدة، وتشمل فتح الباب أمام تجهيز وتدريب الجيش العراقي والأكراد مع إمكان ضم قبائل الأنبار السنية للحملة. وأخيراً المرحلة الثالثة والأصعب، وهي إمكانية ضرب مواقع "داعش" في سوريا.

كما أن زيادة الدعم لقوات المعارضة من خلال زيادة المساعدات العسكرية وتدريبها، هو ما رحب به الائتلاف الوطني السوري المعارض، وذلك في ظل إجماع أمريكي داخلي على استبعاد العملية البرية، وهو ما قد يثير الشكوك حول إمكانية تدمير "داعش" من دون التدخل البري الأمريكي، خاصة في ضوء ضعف القوات العراقية.

رابعاً: الملامح الأساسية للتحالف الدولي:

تشير المؤشرات الأولية عن شكل التحالف الدولي المزمع إقامته ضد "داعش" إلى أنه يتصف بالسمات التالية:

1- تعدد أطراف التحالف الدولي: إذ من المتصور أن يضم التحالف الدولي للراغبين الذي ستشكله واشنطن مجموعة من الدول الغربية الحليفة لواشنطن، وعلى رأسها ألمانيا وأستراليا وفرنسا وبريطانيا والدنمارك، بالإضافة إلى مجموعة من الدول العربية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وذلك نظراً لما تتمتع به من نفوذ كبير على العشائر السنية في العراق وسوريا، وقد بلغ عدد الدول التي حضرت المؤتمر الدولي حول أمن واستقرار العراق في باريس 30 دولة.

2- عدم وضوح الأهداف: فحتى تراجع سيطرة التنظيم على المناطق التي يسيطر عليها في شمال العراق ووسطه، لا يعني انهيار التنظيم، بل إن هناك مخاطر من أن يتشظى التنظيم، ويقوم العائدون بتنفيذ عمليات إرهابية في بلدانهم، وهو ما أشار إليه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي، إذ أشار إلى "أن محاربة الإرهاب مسألة لن تنتهي بمعركة واحدة، أو خلال فترة قصيرة، بل كل الدلائل تشير إلى أن هذه المواجهة سيطول أمدها، ولن تكون خاتمتها بالانتصار على "داعش" على الرغم من حتمية هذا الأمر".

3- طول الفترة الزمنية للتحالف: فقد أكد الأمير سعود الفيصل أن هناك ضرورة أن يستمر هيكل التنظيم المزمع إقامته لمحاربة "داعش" عشر سنوات على الأقل، حتى يتم ضمان زوال هذه الظاهرة.

4- غياب التفويض الدولي: إذ يتوقع أن يتم التحالف الدولي من دون مظلة أممية، فقد أشار بان كي مون إلى أن قرار تحالف دولي ضد داعش لا يتطلب قراراً آنياً من مجلس الأمن، وقد ينطبق هذا في حالة قيام التحالف بعمليات عسكرية ضد العراق، وذلك نظراً لأن العراق هي الداعية لمساعدتها في مواجهة التنظيم، ولكن إذا ما امتدت عمليات التنظيم العسكرية في سوريا، فإن هذا القرار لا يتطلب فقط موافقة مجلس الأمن، ولكن سوريا كذلك، ومن جهة أخرى، فإنه لا يتوقع صدور مثل هذا القرار، نظراً للمعارضة المحتملة من روسيا لصدور قرار من دون وضع ضوابط لضمان ألا يتم استخدام القوة ضد نظام الأسد.

5- اختلاف مهامات أطراف التحالف: إذ إن التصور المبدئي لمشاركة الولايات المتحدة هو من خلال تنفيذ الهجمات الجوية ضد التنظيم، خاصة باستخدام الطائرات من دون طيار، مع وجود مستشارين عسكريين على الأرض لمساعدة القوات العسكرية العراقية وقوات البشمركة في التخطيط للعمليات البرية ضد التنظيم، فضلاً عن تدريب القوات العراقية، كما تخطط الولايات المتحدة لدعم المعارضة السورية المعتدلة لمواجهة التنظيم في سوريا، أما الدول العربية، فسوف يأخذ تعاونها شكل تجفيف منابع التمويل للتنظيم والدعم الاستخباراتي، ولكنه من المتصور، ومع عدم تحقيق انتصارات كبيرة ضد التنظيم، فإنه قد يتم إرسال قوات برية.

6- تداعياته السلبية على دول الجوار: إذ تخشى دول الجوار، خاصة تركيا والأردن، من إمكانية استهداف "داعش" لهما إذا ما قاما بالمشاركة في المجهود العسكري ضده، خاصة في ظل انضمام أتراك وأردنيين للتنظيم، فضلاً عن اعتبارات إقليمية، إذ إن استهداف "داعش" سوف ينظر إليه في جانب منه على أنه استهداف للعرب السنة في العراق، وهو ما يعني مزيداً من الإضعاف للعرب السنة في المعادلة السياسية العراقية، وتقوية للنفوذ الشيعي والإيراني في المنطقة، كما أن مشاركة الأكراد في مواجهة التنظيم، بما في ذلك حزب العمال الكردستاني، سوف يعني تقوية خصوم تركيا، وما لذلك من تداعيات على أمنها.

خامساً: تقييم التحالف الدولي ضد "داعش"

يمكن القول إن هناك معوقات محتملة لمثل هذه الحملة، يتمثل أبرزها في وجود معارضة محتملة من قبل كل من روسيا والصين ومطالبتها بأن يتم ذلك من خلال قرار من مجلس الأمن الدولي، مما قد يمنع دولاً من المشاركة، كما تظل هناك احتمالية تخاذل بعض الدول المتحالفة في توفير الأسلحة والمعدات اللازمة للعمليات، بالإضافة إلى وجود قيود قد تفرضها بعض الدول في نوعية المشاركة مثل تردد تركيا في المشاركة، وإعلان ألمانيا أنها لن تشارك في القصف الجوي، وسيقتصر دورها في تقديم الأسلحة. ومن جهة أخرى، تبرز مشاكل علمياتية، مثل قصور في المعلومات عن التنظيمات الإرهابية، خاصة على الأراضي السورية، بالإضافة إلى إمكانية تهديد طائرات التحالف من الدفاعات الجوية السورية روسية الصنع، وإن كان يظل هذا الاحتمال ضعيفاً، وأخيراً توجد تحديات تتمثل في توفر أسلحة متطورة لدى تنظيم "داعش"، إذ أعلن عن امتلاكه صواريخ أرض – جو قد تهدد الطائرات المهاجمة.

> تحالف الراغبين بات ضرورة ملحة لمواجهة التحديات النابعة من "داعش"، ومع ذلك فإن هذا التحالف قد يترك تداعيات على المنطقة لاسيما إمكانية استمرار التهديدات الإرهابية النابعة من التنظيم حتى بعد القضاء عليه، خاصة إذا ما تشظى التنظيم، وقام العائدون بتنفيذ عمليات إرهابية في بلدانهم الأم.

ومن جانب آخر، تبرز عوامل تدعم التحالف الدولي وتحقيق أهدافه، وتتمثل في الصعود المذهل لتنظيم "داعش" كقوة في ميدان المعركة وكقوى دعائية على الإنترنت خلال الفترة القصيرة الماضية، مما دفع لتفعيل الجهود الأمريكية لمواجهة التنظيم وبتأييد إقليمي وعالمي، بالإضافة إلى تهديدها المصالح الأمريكية وأصدقاءها في منطقة الشرق الأوسط. وأخيراً، كبر عدد الدول المؤيدة والمشاركة، مما يشكل دعماً لقوات التحالف.

وفي الختام، فإن تحالف الراغبين بات ضرورة ملحة لمواجهة التحديات النابعة من "داعش"، ومع ذلك فإن هذا التحالف قد يترك تداعيات على المنطقة لاسيما إمكانية استمرار التهديدات الإرهابية النابعة من التنظيم حتى بعد القضاء عليه، خاصة إذا ما تشظى التنظيم، وقام العائدون بتنفيذ عمليات إرهابية في بلدانهم الأم.